

مَجْلَدُ الْعِلْمِ الْعَرَبِيِّ

(١١)

الجزء ١١ ت ٢ سنة ١٩٢١ م الموافق غرة ربيع الاول سنة ١٣٤٠ هـ المجلد ١

الاعلام ببعاني الاعلام

٢

ابن قصي : اسمه زيد وقيل مجتمع اما قصي فهو تصغير قاص اي بعيد وسمي به لانه قصي عن قومه للتزوج امه برجل من عذرة وكانت بلاد عذرة مشارف الشام فحملت معها قصياً لصغره .

والقصي ايضاً البعيد قال تعالى (مكاناً قصياً) فكأنه فعيل بمعنى فاعل وزيد مصدر زاد الشيء يزيد زيداً وزيادة ومزیداً ومزاداً بمعنى النمو قال الشاعر :
وانتم معشر زيد على مائة فاجمعوا كيدكم طراً فكيدوني
سمت العرب زيداً وزيد اللات نسبة الى الصنم المشهور وزيداً ومزیداً وزائدة وهو اسم صنم وسمت ايضاً يزيد بالفعل المضارع .

واما مجتمع فسمي به لأن سدانة الكعبة كانت لحزاعة وكانت الدفع من عرفات لقبيلة اسمها صوفة وكانت تميزهم اذا تقروا من منى فاذا كان يوم النفر اتوا الرمي الجمار ورجل من صوفة يوسي للناس لا يرمون حتى يرمي فاذا فرغوا من منى اخذت صوفة بنساحتي العقبة وحبسوا الناس فقالوا اجيزي صوفة فاذا نفرت صوفة ومضت خلي سبيل الناس فانطلقوا بعدهم فلما كان في بعض السنين فعلت صوفة كما كانت تفعل . قد عرفت لها العرب ذلك فهو دين في انفسهم فاتاهم قصي ومن معه من قومه ومن قضاة فمنعهم وقال : نحن اولى بهذا منكم فقاتلوه وقاتلهم قتالاً شديداً فانهمزمت صوفة وغلبهم قصي على ما كان بايديهم وانحازت عند ذلك

سدنة البيت وبنو بكر وعرفوا انه سيمنعهم كما منع صوفة فلما انحازوا عنه بادأهم فقاتلهم فكثر القتل في الفريقين واجلى خزاعة عن البيت وجمع قصي قومه الى مكة من الشعاب والاوذية والجلال فسمي مجعاً فنزل بعضهم بطواهر مكة فسموا قوريش الظواهر وتسمى سائر بطون قوريش البطاح عن (ابن الاثير) : والبطاح جمع بطحاء وهي والابطع والبطيحة مسيل الماء الواسع الذي فيه دقاق الحصى . قال في القاموس وقريش البطاح الذين ينزلون بين اخشي مكة (اي جبلها اي قبيلتها) وما يقابله (ومن نزل خارجاً عنها يسمى الظواهر لنزولهم خارج الشعب .

ابن كلاب : كلاب مصدر كالب فلاناً مكالبه وكلاباً ضايقه كمضايقة الكلاب بعضهم بعضاً عند الممارسة . والمكالبه المشارة والمضايقة . والتكالب التواكب يقال هم يتكالبون على كذا اي يتواثبون عليه فعنى كلاب هذا المضايقة سموه بذلك لما تقدم من ان العرب تسمى ابناءها لاعدائها وسموا ايضاً بكلب وكيب وليس المراد به هذا الحيوان النابح بل الكلب لغة محل سبع عقور كما في الصحاح ولسان العرب قال في القاموس وغلب على هذا النابح وعلى الاسد اي كما قال عليه السلام في ابن ابي لهب اللهم سلط عليه كلباً من كلابك فافترسه الاسد ويطلق الكلب ايضاً على اول زيادة الماء في الوادي كما قال ابن الاثير في النهاية وعلى خشبة يعمد بها الحائط وعلى القد بالكسر وهو السير المقدود من الجلد قال في التاج ومنه رجل مكالب اي مشدود بالقد قال طفيل الضوي :

فباء بقتلانا من القوم مثلهم وما لا يعد من اسير مكلب

وقيل مكلب مقلوب مكبل ومن معاني الكلب ايضاً طرف الاكمة والمسار في قائم السيف وجبل بالهامة ذكره ابن سيده والخط الذي في وسط ظهر الفرس وحديدة في طرف الرحل يعلق فيها الزاد والادوات كالكتائب بالفتح والكتوب ويطلق ايضاً على ذؤابة السيف وكل ما اوثق به شيء فهو كلب لانه يعقله اي يحبسه كما يعقل الكلب من علقه كذا في القاموس وشرحه والكتائب صاحب الكلاب والكيب جمع الكلاب يقال كيب وكلاب والكتيب محركة داء يصيب الناس والابل شبيه بالجنون وكانت العرب في الجاهلية اذا اصاب الرجل الكلب قطروا

له دم رجل من بني ماء السماء فيسقاء فكان يشفى منه قال الشاعر :
دماؤهم من الكلب الشفاء (من ابن دريد)

وأما الكلاب فهو موضع بالدهنا بين اليمامة والبصرة كانت فيه وقعات
احدهما بين ملوك كنده الاخوة والاخرى بين بني الحارث وبني تميم يذكر ذلك
أبو عبيدة في كتاب الايام وهما كلابان الكلاب الاول والكلاب الثاني وكتبنا
الحداد وغيره معروفة فاذا ثبت قلت اذا كلبتين واذا جمعت قلت ذوات كلبتين
(عن ابن دريد) .

ابن مرة : مئة امم شجرة والمرار ايضاً شجر الواحدة مرارة وآكل المزار
لقب ملك من ملوك كنده وهو الحارث جد أبي امرئ القيس بن حجر والمر
خلاف الحلو والمرة أحد امشاج اخلاط الطبائع للانسان ومرة الانسان قوته قال
النبي ﷺ لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي واستمر مرير فلان على كذا
وكذا اي جد فيه قال الشاعر :
وشط نواها واستمر مريرها

وفي التنزيل حملت حملاً خفيفاً فرث به وقرأ قوم فاستمرت به أي اشتد
عليها ومن ذلك يوم مستمر اي ثقل شديد والمريرة والمرار والمرجل يشد به
الحمل على البعير وفي العرب قبائل تنسب الى مرة منها مرة بن عوف في غطفان
ومرة بن عبيد في بني تميم ومرة في بكر بن وائل ومرة في عبد القيس اه مختصراً
من ابن دريد .

ابن كعب : الكعب كل مفصل للعظام والعظم الناشز فوق القدم والعظام
الناشزان من جانبها وما بين الانبوين من القصب والكتلة من السمن وقدر صبة
من اللبن (وهي ما يصب من طعام وغيره) والشرف والمجد كذا يفهم من القاموس
وقال ابن دريد الكعب مشتق من شين اما من كعب الانسان والدابة او كعب
القناة وجمع كعب القناة كعوب في الاكثر وكعب الانسان جمعه كعاب
وكعب الثوب اذا طويته طياً مربعاً وسميت الكعبة لتربعها والكعب ايضاً
بقية السمن في النحي او الرطب الذي يبقى في أسفل النحي قال عمرو بن معدي
كرب لعمرو بن الخطاب : أبرام بنو مخزوم . قال وكيف ذاك قال : ضقتهم
فاطعموني ثوراً وقوساً وكعباً فقال عمرو أطيب بذاك والثور القطعة من الاقط
والقوس باقي التمر في أسفل الجلة^(١) والكعب ما ذكرته لك اه .

ابن لؤي : قال ابن دريد اشتقاقه من أشياء اما تصغير لواء الجيش وهو محدود او تصغير لوى الرمل (وهو ما التوى منه او منعطفه) وهو مقصور او تصغير لأي مثل لعا وهو الثور الوحشي وهو مقصور مهموز واللوى اعرجاج في ظهر الفرس والوجع الذي يعترى البطن مقصور غير مهموز وتقول لويت الرجل دينه الويه ليا وليانا اذا مطلته وفي الحديث لي*الواجد ظلم اي مطله قال الشاعر :

تطيلن لياني وانت ملية واحسن يا ذات الوشاح التقاضيا

وتقول لويت الحبل الويه ليا واللوي*العشب اذا هاج واصفر ويبس والوية تحفة تذخرها المرأة لزوجها او ولدها (اه) وفي القاموس ان لأي كالسعي الابطاء والاحتباس والشدة واسم لرجل تصغيره لؤي ومنه لؤي بن غالب ولم يرتضه بعض المحققين وقال ان الاعلام لا تنقل من الاعلام وانما تنقل من النكرات والدليل على ذلك ما في التاج من ان لؤيا يهمز ولا يهمز والهمز شبه قال علي بن حمزة العرب في ذلك مختلفون من جعله من اللؤي همزه ومن جعله من لوى الرمل لم يهزمه اه فانت ترى ان ادعاء صاحب القاموس انه تصغير لأي اسم الرجل في غير محله لنطق العرب به غير مهموز .

ابن غالب : غالب فاعل من قولهم غلب يغلب غلباً فهو غالب ويقولون لمن الغلب ومن قال الغلب سكون اللام فهو لحن ويقولون رجل اغلب بيتن الغلب اذا غلظت عنقه حتى لا يمكنه ان يلتفت وبذلك سمي الاسد اغلب وقد سمى العرب غالباً وغلباً واغلب اه من ابن دريد .

ابن فهر : الفهر الحجر الاماس يملأ الكف او نحوه قال في القاموس ويؤنث وقال ابن دريد وهو مؤنث يدل على ذلك انهم صغروا فهرأ فهيره وعامر بن فهيره مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنها وفي بعض اللغات فاقة فهيره اي صلبة لا أدري في اي لغة والفهر بالضم موضع مدراس اليهود اظنه من الدرس وهو الذي يجتمعون فيه للقراءة والدرس وأرض مقبرة كثيرة الافهار اه باختصار .

ابن مالك : اسم فاعل من ملكه يملكه ملكا مثلث الميم وان اقتصر الجوهري على الكسر فقد نقل فيها الضم والفتح ابن سيده عن اللحياني وملكة بالتحريك وملكة بضم اللام احتواء قادراً على الاستبداد به وقال الراغب الملك هو التصرف

بالامر والنهي في الجمهور وذلك يختص بالناطقين ولهذا يقال مالك الناس ولا يقال مالك الاشياء وقوله عز وجل مالك يوم الدين تقديره المالك في يوم الدين وذلك لقوله عز وجل لمن الملك اليوم والملك ضربان ملك هو التملك والتولي وملك هو القوة على ذلك تولى او لم يتول فمن الاول قوله عز وجل ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها ومن الثاني قوله عز وجل اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا فجعل النبوة مخصوصة والملك فيهم عاماً فان معنى الملك هنا القوة التي يترشح بها للسياسة الا انه جعلهم كلهم متولين للأمر فذلك مناف للحكمة كما قيل لا خير في كثرة الرؤساء اه من التاج .

وقال ابن دريد مالك فاعل من الملك وقد قرئ مَلِك يوم الدين ومالك والمَلِك المعروف وهو في لغة ربيعة مَلَك بالسكون والملائكة اصله الهمز لانهم قالوا في واحده مَلَأَك واشتقاقه من المألَكة والالوكة وهي الرسالة اه باختصار

ابن النضر : قال في القاموس وشرحه النضر والنضير والنضار والاضر الذهب او الفضة وقد غلب على الذهب ونقل الصاغاني عن السكوي النضار ككتاب الذهب والفضة وجمع نضر نضار بالكسر وانضر (كفلس وافلس) والنضار بالضم الجوهر الخالص من التبر وقدح نضار اتخذ من نضار الخشب والنضر بن كنانة ابو قريش اه مختصراً . وقال ابن دريد النضر وهو ابو قريش فمن لم يكن من ولد النضر فليس بقريشي (اي بل يقال له كِنَانِي نسبة الى كنانة) والنضر الذهب بعينه والنضار الخالص من كل شيء وربما سموا الذهب أيضاً نضاراً . والنضير قبيلة من اليهود اخوة بني قريظة وقد سميت العرب نضراً ونضيراً بالتصغير (وهو اخو النضر المذكور) ونضير ونضيرة اسم امرأة وكل شيء استحسن فهو نضير يقال ما انضر لونه اي ما اصفاه واحسنه اه واقول ان قولهم نضر ابو قريش ليس متفقاً عليه بل صحح الزين العراقي ان ابا قريش فهو فقال في الغيبة في مصطلح الحديث :

اما قريش فالاصح فهو جماعها والاكثرون النضر

ابن كنانة : الكنانة كنانة النبل . اذا كانت من ادم (اي جلد) فهي كنانة فان كانت من خشب فهي جفير وان كانت من قطعتين مقرونتين فهي قرآن بفتح الراء والكنانة يجمع هذا كله و كِنَان كل شيء غطاؤه ويقال كنت الدرد وغيره

إذا سترته وغطيته وفي القرآن العظيم كأنهن يبض مكنون فهذا من كنتت واكنتت الحديث في صدري إذا كتته وفي التنزيل وربك يعلم ما تكن صدورهم فهذا من اكنتت والكنة بالضم مخدع في البيت شبه بالف أو نحوه وكنة الرجل بالفتح امرأة ابنه أو أخيه وكن كل شيء ما اكنتت في ظله يقال اكنتت من المطر بالشجوة تظلت بها من الشمس اه من ابن دريد .

ابن خزيمة : اشتقاقه من الخزم وهو شجر له لحاء (اي قشر) يقتل منه جبال الواحدة خزيمة وخزيمة تصغيرها وستأتي تمة معنى هذه المادة في خازم واخزم .
ابن مدركة : الادراك اللوح كذا في الصحاح يقال مشيت حتى ادر كته وعشت حتى ادر كت زمانه ورجل مدركة بالهاء سريع الادراك قال ابن السكيت ولد الياس ابن مضر عمراً وهو مدركة وعمراً وهو طابخة وعميراً وهو قمعة وامهم خندف كزبرج وهي ليلي بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وكان الياس خرج في نجعة له ففوت ابله من ارنب فخرج اليها عمرو فأدر كها فسمي مدركة وخرج عامر فتصيد الارانب وطبخها فسمي طابخة وانقمع عمير في الجباء فسمي قمعة وخرجت امهم تسرع فقال لها الياس ابن تخندفين فقالت ما زلت اخندف اي اسرع في اثركم فلقبوا هي وهم بهذه الالقاب كذا في القاموس وشرحه .

ابن الياس : قال ابن دريد يمكن ان يكون اشتقاق الياس من قولهم يش يشس يأساً ثم ادخلوا عليه الالف واللام فقالوا الياس ويمكن ان يكون من قولهم رجل أليس من قوم ليس اي شجاع وهو غاية ما يوصف به الشجاع هذا لمن يهمل الياس والتفسير الاول احب اليّ اه وقال في القاموس الياس بن مضر اول من اصابه الياس بحركة اي السل اه (فسمي به لذلك) . واسم الياس النبي عبراني معناه (الرب الهي)

ابن مضر : من مضر اللبن او النبيذ يضر مضرأً ويحرك ومضوراً كنصر و فوح وكرم حمض وايض ولبن ماضر حامض ومضارة اللبن بالضم ماسال منه اذا حمض وصفاً ومضرب نزار كزفر فسمي به لولعه بشرب اللبن الماضر اولياض لونه وقماضر بالضم بنت عمرو بن الشويد الملقبة بالخنساء مشتقة من هذه الاشياء وقال ابن دريد احسبه من اللبن الماضر كذا في القاموس وشرحه .

ابن نزار : من النزر وهو القليل من كل شيء كالنزر والمنزور ونزر ككرم نزارا بالفتح ونزارة ونزورة ونزور اقل ونزار ككتاب ابن معد بن عدنان قال في الروض الأنف سمي به لان اياه لما ولد له نظر الى نور النبوة بين عينيه وهو النور الذي كان ينقل في الاصلاب الى محمد ﷺ ففرح فرحاً شديداً ونحر واطعم وقال ان هذا كله انزرفي حق هذا المولود فسمي نزاراً لذلك (من فمرح القاموس باختصار) . ابن معد : قال ابن دريد اشتقاقه من شينين اما ان يكون مفعل من المعد فكأنه كان معداً فادغمت الدال واما ان يكون من المعد وهو اللحم في مرجع كتف الفرس قل الشاعر : فاما زال مرجع عن معد واجدر بالحوادث ان تكونا « وجواب اما قوله : فلا تصلي بظروق اذا ما سري في القوم اصبح مستكينا يقول « اذا زال عنك مرجعي فبنت بطلاق او موت فلا تتزوجني بعدي بمن هذه صفته » .

والمعد تمام الشدة والقوة قال الراجز :

ربيتنه حتى اذا تمعددا وصار نهداً كالخصان اجردا
كان جزائي بالعصا ان أطردا

والمعدة من هذا اشتقاقها اصلها وسمت العرب معيداً ومعددا ومعدات واحسب اشتقاقه من المعد والمعد الصلابة اه باختصار . وقال في القاموس وشرحه والمعد كمرّد الجنب من الانسان وغيره والبطن واللحم الذي تحت الكتف وموضع عقب الفارس من الدابة او رجله وعروق في منسج الفرس والمعد ان من الفرس ما بين رؤوس كتفيه الى مؤخر مته ومعد حمي سمي باحد هذه الاشياء وهو معدتي في النسب ومنه المثل : تسمع بالمعيدي خير من ان تراه . قال ابن السكيت هو تصغير معدتي الا انه اذا اجتمعت تشديدة الحرف وتشديدة ياء النسبة خففت ياء النسبة وتعدد الرجل تزياد بهم ومنه حديث عمر الذي رواه الطبراني مرفوعاً الى النبي ﷺ اخشوشوا وتعددوا اي تشبهوا بعيش معد بن عدنان وكانوا اهل كشف وغلظ في المعاش يقول كونوا مثلهم ودعوا التعم وزي العجم وتعدد المريض برىء والمهزول اخذ في السمن اه مختصراً .

ابن عدنان : قال ابن دريد عدنان فعلان من قولهم عدن بالمكان بعدن عدونا

وهو عادن اي مقيم ومنه اشتقاق المعدن لعدون الذهب والفضة وما اشبهها من الجوهر فيه ومنه اشتقاق جنات عدن اي دار مقام وعدن^(١) أين من هذا اشتقاقها لان ابن عدن بها اي اقام بها وهو رجل من حمير ا هـ .

وفي القاموس عدن الارض يعدنها عدناً زبلها كعدتها وعدن الشجرة يعدنها عدناً افسدها بالفاس ونحوها والحجر قلعة بالفاس ا هـ .

اقول الى هنا انتهى المعروف من نسب النبي ﷺ وعدنان هو الواحد والعشرون من اجداده ﷺ ولم يعد احداً بعدهم وقال كذب النسابون .

حرف الهمزة

(آدم) : ابو البشر ﷺ امم سرياني معناه الاحمر او الترابي وقد سمت به العرب ومن سمي به آدم بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب الذي قتل في الجاهلية ووضع النبي ﷺ دمه يوم فتح مكة فباغتباره سريانياً لا يقال عنه مشتق من اديم الارض او غيره كما قيل لان العربي لا يشتق من العجمي ولا عكسه فان الاشتقاق توليد كما عليه عامة العلماء فمعنى الاشتقاق ان تأخذ من اللفظ ما يناسبه في التركيب فتجعله دالاً على معنى يناسب معناه فان اعتبر فيه الموافقة في الحروف الاصول مع الترتيب كضرب وضارب فيسمى اشتقاقاً اصغراً وان كان بدون ترتيب الحروف فصغير نحو جبد وجذب وان كانت لمناسبة بينها نحو ثلب وثلم فأكبر ويعتبر في الاصغر موافقته في المعنى وفي الاخيرين المناسبة اما لفظ آدم العربي فيصح ان يقال عنه انه مشتق قال ابن دريد اشتقاقه من شيدن امان من قولهم رجل آدم بين الادمه وهي سمرة كدرة او من قولهم ظبي آدم وجمل آدم والادم من الظباء الطويل القوائم والعنق الناصع بياض البطن المسكي الظهر وهي ظباء السفوح وقد جمعوا آدم الظباء ادمان فاما قول ذي الرمة ادمانة فهو خطأ عند الاصمعي ا هـ . سعيد الكرمي

(١) عدن ابن قال في القاموس جزيرة باليمن وهو غلط بل هي قصبة بينها وبين عدن المشهورة ثمانية فراسخ كما حققه صاحب التاج .

جباية الشام

في الاسلام

٢

وكذلك كانت سيرة العباسيين بعد فقد اخذ المنصور اموال الناس حتى ماترك عند احد فضلاً وكان مبلغ ما اخذهم ثمانمائة الف الف درهم وعدل ابو جعفر المنصور ارض الغرطة غرطة دمشق فجعل كل ثلاثين مداً بدينار بالقاسمي وكان اداء الناس على ذلك . وكان الخلفاء من بني العباس يعمدون الى ابطال الرسوم عندما يتجلى لهم ضررها ولا يقطعون امراً بدون اخذ آراء جلة الفقهاء في عصرهم فقد امر المعتضد سنة ٢٨٣ بالكتابة الى جميع البلدان ان يرد الفاضل من سهام الموارث الى ذوي الارحام وابطل ديوان الموارث . وخلف المعتضد هذا في بيوت الاموال تسعة آلاف الف دينار ومن الورق الف الف درهم . ومن خلف هذه القناطير المقنطرة من الذهب لا بد له ان يظلم امته وان لا يصرف اموالها في وجوه مصالحها وقد كنت ترى في أيام العباسيين عدلاً شاملاً لا مثيل له حيناً ونجد ظمناً شائناً في دور آخر فعهد الرشيد والمأمون والمهدي والظاهر والمتوكل كان عجباً في العدل وانتظام الجباية فالمهدي مثلاً افتتح امره بالنظر في المظالم وبسط يده في العطاء فاذهب جميع ما خلفه المنصور وهو ستمائة الف الف درهم واربعة عشر الف الف دينار سوى ما جباه في ايامه والمأمون العباسي اقام سنة بدمشق (٢١٤) لمساحة اراضي الشام واجتلب لتعديله مساح العراق والاهواز والري والمهدي اول من نقل الخراج الى المقاسمة^(١) وكان السلطان يأخذ عن الغلات خراجاً مقررأ ولا يقاسم وجعل الخراج على النخل والشجر . واعاد الظاهر بأمر الله سنة ٦٢٢ سيرة العمرين فقال ابن الاثير فلو قيل انه لم يل الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز مثله لكان القائل صادقاً فانه عاد من الاموال المغصوبة في ايام ابيه شيئاً كثيراً واطلق المكوس في البلاد جميعها وامر باعادة الخراج القديم وان يسقط جميع ما جددته ابوه وكان كثيراً لا يحصى وفي ايام ابيه

خربت العراق وتفرق اهله في البلاد .

خربت العراق وما اليها من الامصار والاقطار للشدة في تقاضي الجباية والتفنن في الضرائب وعدم اطرادها على وتيرة واحدة . كتب^(١) علي بن عيسى الى عامل ديار ربيعة وقد ورد الحضرة قوم من اهلها يتظلمون من حيف لحقهم في معاملاتهم: وبسم الله الرحمن الرحيم . في علمك اكرمك الله بما امر الله به من العدل والاحسان ونهى عنه من الجور والعدوان وعاقب به الظالمين في سالف الازمان غنى لك عن التنبية والتوقيف والوعظ والتخويف وفيما رسمته لك مشافهة ومكاتبة في انكار الظلم وازالته و اظهار العدل وافاضته كفاية وبلاغ . وقد ورد الحضرة اكرمك الله جماعة من وجوه التناء والمزارعين بديار ربيعة متظلمين بما عوملوا به في سني ثلث عشرة وثلثمائة من اكرامهم على تضمين غلات يادرم بالحزر والتقدير والزاهم حق الاعشار في ضياعهم على التريبوع واستخراج الخراج منهم على اوفر عبوة قبل ادراك غلاتهم

وثامهم واكرام وجوهم وتجارهم على ابتعاغ الغلات السلطانية باسعار مسرفة مجحفة فاقلفني ما افضوا فيه من الشكوى والمني ما انتموا الى وضعه من عظيم البلوى ووجدته مع قبح ذكره وعظيم وزره عائداً بخواب الضياع ونقصان الازتفاع فينبغي اكرمك الله ان تجري سائر رعتك على المعاملات القديمة وتحملهم على الرسوم السليمة حتى يعودوا الى افضل حال عهدوها واجمل سيرة حمدوها وتزيل السنن الجائرة وتبطلها وتقطع اسبابها وتحسمها وتكتب الي بما يكون منك في ذلك فاني على اهتمام به ومراعاة له ان شاء الله .

ولو رجعت الى كتب التاريخ والسير لرأيت شيئاً كثيراً من هذا القبيل وفي الكتاب الذي كتبه الامام ابو يوسف صاحب الامام ابي حنيفة الى الخليفة هرون الرشيد صورة لطيفة من تلطف العلماء في نصع الملوك والخلفاء . و كتابه دستور في الجباية تستدل به على ترقى العقول في عصره . وما خلا عصر من علماء ينعون على العمال اعمالهم وتجانفهم عن طرق الحق في معاملة الامة وقلماء كانت المواعظ تفعل الا في المستعدين للخير من الخلفاء فمن دونهم . ذكروا ان الرشيد اخذ العمال^(٢) والتناء والدهاقين واصحاب الضياع والمبتاعين للغلات والمقبلين وكان عليهم اموال مجتمعة

فطوبوا بصنوف من العذاب فرأى الفضل بن عياض الناس يعذبون في الحراج فقال ارفعوا عنهم اني سمعت رسول الله يقول من عذب الناس في الدنيا عذبه الله يوم القيامة فافس الرشيد بان يرفع العذاب عن الناس فارتفع العذاب من تلك السنة . وكان وقع مثل ذلك في اوائل دولة الامويين بالشام واخذ جباة الجزية يعذبون بعض اهل الذمة ويجعلونهم في الشمس ساعات عقوبة لهم فنهى عن ذلك احد الفقهاء العارفين وبطل تعذيب المكلفين من ذاك اليوم .

زاد الاجحاف بحقوق الرعية لما توزع ملوك الطوائف البلاد واخذ كل ملك او امير يستولي على اقليم صغير من الارض ويخنف على الناس في الجباية ويسمي نفسه ملكاً من ذلك بنو حمدان^(١) في حلب وما اليها فانهم كانوا على جانب من البطش والظلم وان مدحهم الشعراء وقامت للدب في ايامهم دولة فقد لجوا في الظلم والاستئثار بالاموال وكانت فتهم مع الروم لا تنقطع فاستأثر القضاء بهلاك العباد وخراب البلاد على ايدي المدافعين والمهاجرين . ففي خلافة الرضي سنة ٣٢٤ بطلت الدواوين والوزارة فكان كل من تولى امرة الامواء^(٢) تحمل اليه الاموال فيتصرف فيها جميعاً كما يريد ويطلق للخليفة ما يريد وبطلت بيوت الاموال وكانت الشام اذ ذاك في يد محمد بن طغج . وبينما كانت الشام تدافع القرامطة وتستغل بفتن بني حمدان لتقع في ايدي الاخشيدية اصحاب مصر كانت بغداد في شغب وتعب واذا كانت هي العاصمة فاحر بالاطراف ان تكون اسوأ حالاً فقد شغب الجند سنة ٣٣٤ على معز الدولة ابن بويه فضمن لهم ايصال ارزاقهم في مدة ذكرها لهم فاضطروا الى ضبط الناس واخذ الاموال من غير وجوها واقطع قواده واصحاب القوي جميعها التي للسلطان واصحاب الاملاك فبطل لذلك اكثر الدواوين وزالت ايدي العمال وكانت البلاد قد خربت من الاختلاف والغلاء والنهب فاخذ القواد القوي العامرة وزادت عمارتها معهم وتوفر دخلها بسبب الجاه فلم يمكن معز الدولة العود عليهم بذلك واما الاتباع فان الذي اخذوه ازداد خراباً فردوه وطلبوا العوض عنه فعرضوا وترك الاجناس والاهتمام بمسارب القوي وتسوية طرقها فهلك وبطل الكثير منها واخذ غلات المقطعين في ظلم الفلاح وتحصيل العاجل فكان احدهم اذا عجز الحاصل تمه بصادرة القانين على الاراضي .

(١) المسالك والممالك لابن حوقل (٢) الكامل لابن الاثير .

وهكذا اختلت احوال المملكة العربية وطرق الجباية فيها لما نال الناس من المغارم والمظالم والحكومات لا تعرف واجبها ولا تدري ان الجباية في الدولة اجرة الحماية ولذلك تأفف ابو العلاء المعري في النصف الاول من المئة الخامسة من ملوك عصره فقال:

وارى ملوكاً لا تحوط رعية فعلام تؤخذ جزية ومكوس
وقال : عجم وعرب دائلوث وكلنا في الظلم اهل تشابه وجناس
وقال : ارى امراء الناس يمسون شرهم اذا خطفوا خطف البزاة اللوامع
وفي كل مصر حاكم فوق وطاغ يحايي في اخس المطامع
وقل ايضاً: يقولون في مصر العدول وانما حقيقة ما قالوا العدول عن الحق
ولست بختار لقومي كونهم قضاة ولا وضع الشهادة في رق
وقال : بكل ارض امير سوء يضرب للناس شر سكة
وقال : ان العراق وان الشام مذمن صفوان ما بها للملك سلطان
ساس الانام شياطين مسلطة في كل مصر من والين شيطان
من ليس يحفل خص الناس كلهم ان بات يشرب خمرأ وهو مبطان
وقال : وجدت غنائم الاسلام لا حساب المعازف والملاهي
وقال : مل المقام فكم اغنياء امة امرت بغير صلاحها امراؤها
ظلموا الرعية واستباحوا كيدها فعدوا ناصحها وهم اجراؤها
ومن قوله: فثان ملوكهم عزف وتزف واصحاب الامور جباة خرج
وهم زعيمهم لانهاب مال حرام النهب او لاحتلال فرج

وبعد فقد استقر خراج فلسطين على عهد معاوية على اربعمائة وخمسين الف دينار واستقر خراج الاردن على مائة وثمانين الف دينار وخراج دمشق على اربعمائة الف وخمسين الف دينار وخراج جند حمص على ثلثمائة وخمسين الف دينار وخراج قنسرين والعواصم على اربعمائة الف وخمسين الف دينار وفعل معاوية بالشام والجزيرة واليمن مثل ما فعل بالعراق من استصفاه ما كان للهوك من الضياع وتصيرونه لنفسه خاصة واقطعها اهل بيته وخاصته وهو اول من كانت له الصواني في جميع البلاد. قال البلاذري (١) كانت وظيفة الاردن التي اقطعها معاوية مائة الف وثمانين الف

دينار ووظيفة فلسطين ثمانمائة ألف وخمسين ألف دينار ووظيفة دمشق اربعمائة ألف دينار ووظيفة حمص مع قنسرين والكور التي كانت تدعى بالعواصم ثمانمائة ألف دينار ويقال سبعمائة ألف دينار . وكان ارتفاع الشام سنة ٢٠٤ هـ وهي اول سنة وجد حسابها في الدواوين بالحضرة لان الدواوين احرق في الفتنة فتنة الامين على مارواه قداسة - ثلثمائة الف وستين الف دينار ارتفاع قنسرين والعواصم وارتفاع جند حمص مائتي الف وثمانية عشر الف دينار وارتفاع جند دمشق مائة الف وعشرة آلاف دينار وارتفاع جند الاردن مائة الف وتسعة آلاف دينار وارتفاع جند فلسطين مائتي الف وتسعة وخمسين الف دينار .

قال اليعقوبي^(١) ان خراج دمشق سوى الضياع يبلغ ثلثمائة الف دينار وخراج جند الاردن يبلغ سوى الضياع مائة الف دينار ويبلغ خراج جند فلسطين مع ما صار في الضياع ثلثمائة الف دينار وخراج حمص سوى الضياع ايضاً مائتي الف وعشرين الف دينار . وكان خراج الاردن زمن عبد الملك بن مروان مائة وثمانين الف دينار وكان خراج قنسرين على عهد المأمون اربعمائة الف دينار ومن الزيت الف حمل وخراج دمشق اربعمائة الف دينار وعشرين الف دينار وخراج الاردن سبعة وتسعين الف دينار وخراج فلسطين ثلثمائة الف دينار وعشرة آلاف دينار ومن الزيت ثلثمائة الف رطل .

ولما تغلب الموالي من الاتراك وتناثر سلك الخلافة وبقيت الدولة العباسية في الترف وقوي عامل كل جهة على ما يليه كثرت النفقات وقلت الجاهلي بتغلب الولاة على الاطراف قال المقدسي^(٢) كانت الضرائب ثقيلة على قنسرين والعواصم زمن سيف الدولة بن حمدان فكان خراج هذا الاقليم ثلثمائة الف وستين الف دينار وعلى الاردن مائة الف وسبعون الف دينار وعلى فلسطين مائة الف وتسعة وخمسون الف دينار وعلى دمشق اربعمائة الف ونيف .

وانت ترى ان الجباية في الشام كانت تختلف باختلاف العصور والادوار والتقلبات الجوية ومن الاراضي الحراجية والعشرية التي تدفع العشر لانها مما فتحه المسلمون عنوة قال أبو يوسف كل ارض اقتطعها الامام مما فتحت عنوة ففيها الحراج

(١) تاريخ اليعقوبي (٢) احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم .

الا ان يصيرها الامام عشرية والشام في ذلك كمصر والعراق ولانها كلها فتحت عنوة وفي التارخانية ان السلطان اذا دفع اراضي لا مالك لها وهي التي تسمى الاراضي المملكة الى قوم ليعطوا الحراج جز وطريق الجواز أحد شيئين اما اقامتهم مقام الملاك في الزراعة واعطاء الحراج او الاجارة بقدر الحراج ويكون المأخوذ منهم خراجاً في حق الامام اجرة في حقهم وقال ابن عابدين ومن هذا القبيل الاراضي المصرية والشامية ويؤخذ من هذا انه لا عشر على المزارعين في بلادنا اذا كانت اراضيهم غير مملوكة لهم لان ما يأخذهم منهم نائب السطات وهو المسمى بالزعيم او التجاري ان كان عشراً فلا شيء عليهم غيره وان كان خراجاً فكذلك. ولم تكثر الاقطاعات الا في القرون الوسطى قال المقريزي وكانت عادة الخلفاء من بني أمية وبني العباس والفاطميين من لدن امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان يجبي اموال الحراج ثم تفرق من الديوان في الامراء والعمال والاجناد على قدر رتبهم وبموجب مقاديرهم وكان يقال لذلك في صدر الاسلام العطاء وما زال الامر على ذلك الى ان كانت دولة العجم فغير هذا الرسم وفرقت الاراضي اقطاعات على الجند واول من عرف انه فوق الاقطاعات على الجند نظام الملك وزير السلجوقيين وذلك ان مملكته اتسعت فوأي ان يسلم الى كل مقطع قرية او أكثر او اقل على قدر اقطاعه فعمرت البلاد وكثرت الغلات واقتدى بفعله من جاء بعده من الملوك من أعوام بضع وثمانين وأربعمائة الى اوائل القرن التاسع. وكانت اقطاعات الشام اقل من اقطاعات مصر في القرن الثامن والتاسع وليس في الشام من يبلغ شأوا اكبر الامراء المقدمين بالديار المصرية الا نائب الشام فانه يقاربهم في ذلك ولخاصة الامراء المقدمين انواع من الانعامات ما عدا المقررات من المشاهرات والاكل والعليق والكساوي كالحقار والابنية الضخمة التي ربما اتفق على بعضها فوق مائة الف دينار. قال التاج السبكي المتوفى سنة ٧٧١ : ومن قبائح ديوان الجيش الزامهم الفلاحين بالاقطاعات بالفلاحة والفلاح حراً لا دمي عليه وهو امير نفسه وقد جرت عادة الشام بان من تزح من دون ثلاث سنين يلزم ويعد الى القرية قهراً ويلزم بشد الفلاحة والحال في غير الشام اشد منه فيها وكل ذلك لا يحل اعتماده

والبلاد تعمرون بدون ذلك بل انما تخرب بذلك لانهم يضيقون على الناس .
وماعدا الاراضي التي كان الملوك يوغرونها اي التي يدفع عنها اربابها قدراً من
المال مرة واحدة فتعفى من الخراج وما خلا الاقطاعات التي يستأثر بها اصحابها من
ارباب الدولة ولا يؤدون عنها خراجاً وعدا ضياع كثيرة تعفى من الضرائب وعدا
الصواني واحدها صافية وهي ما يستخلصه السلطان لحاصته او هي الاملاك والاراضي
التي جلا عنها اهلها او ماتوا ولا وارث لها - ماعدا هذا كان هناك نوع من الاراضي
يسمى الجلة اي يلجأ صاحب الارض الى بعض الكبراء فيسجل ضيعته باسمه تعزراً
به من عمل الخراج حتى لا يجوروا عليه فتصبح الضيعة مع الزمن ملكاً لذاك الكبير .
قال ابن ابي الحديد^(١) ان من اهل الخراج من يلجأ بعض ارضه وضياعه الى
خاصة الملك وبطانته لاحد امراء اما الامتناع من جور العمال وظلم الولاة وتلك
منزلة يظهر بها سوء اثر العمال وضعف الملك واخلاله بما تحت يده واما للدفاع عما
يلزمهم من الحق والتيسير له وهذه خلة تفسد بها آداب الرعية وينتقص بها اموال
الملك وكان العادلون من الملوك يعاقبون الملتجئين والمُلجأ اليهم ولكن الناس
يلجئون املاكهم عند ارباب الصولة وكم من مرة خربت سورية او صقع كبير من
اصقاعها بظلم ظالم من عاها . ذكروا ان الخليفة الحاكم اعفى ولاية حلب من
الخراج سنة ٤٠٧ لانها كانت ضعفت بالفتن المتواصلة . وبالف المير حصن الدولة
معلى بن حيدرة بن منزو الكتامي الذي ولي دمشق سنة ٤٦١ في المصادرات
وارتكاب المظالم فلم يلق اهل البلد من التعجرف والظلم والعسف بعد جيش ابن
الصمصامة في ولايته ما لقوه من ظلمه وسوء فعله فخربت اعمال دمشق وجلا عنها
اهلها وهاج الاماكن من قاطنيها والغوطة من فلاحها .

والغالب ان المكوس والضرائب كثرت وَاخِرَ حكم العباسيين والعيديين في
الشام فاسقطها صلاح الدين يوسف بن ايوب جملة مثل مكس مكة وعوض اميرها
بجلا ب غلة تحمل اليه كل سنة وتعين ضياع موقوفة عليها بالديار المصرية . قال ابن
ابي طي : ان الذي اسقطه السلطان صلاح والذي سامع به لعدة سنين آخرها سنة
اربعم وستين وخمسمائة مبلغه عن ثيف الف دينار والف الف اردب سامع

(١) شرح نهج البلاغة .

بذلك وابطله من الدواوين واسقطه من المعاملين وكذلك فعل اخوه ابو بكر ابن ايوب فانه ابطل كثيراً من المظالم والمكوس وطهر بلادهم من الفواحش والخمور والقمار وكان الحاصل من ذلك بدمشق خصوصاً مائة الف دينار الا ان المكوس عادت فاحدثت . فقد ذكر المؤرخون ان فخر الدين بن عساكر انكر على الملك المعظم تضييع المكوس والخمور فعاقبه بأن انتزع منه المدرسة النقوية والصلاحية . ولما دخل صلاح الدين دمشق سنة ٥٧٠ ازال المكوس وكانت الولاية في اهلها قد ساءت وامسرفت واليد المتعدية قد امتدت الى اموالهم واجتاحت . وكذلك كانت من قبل سيرة نور الدين محمود بن زنكي فانه منع ما كان يؤخذ من دمشق من المغارم بدار البطيخ وسوق الغنم والكيالة وغيرها وكان ينهى اصحابه عن اقتناء الاملاك ويقول مهما كانت البلاد لنا فاي حاجة لكم الى الاملاك فان الاقطاعات تغني عنها وانت خرجت البلاد من ايدينا فان الاملاك تذهب معها ومتى صارت الاملاك لاصحاب السطان ظلموا الرعية وتعدوا عليهم وغصبوهم املاكهم قال ابو يعلى ^(١) فجمع قوم من السفهاء العوام وعزموا على التحريض لنور الدين على اعادة ما كان ابطل وسامح به اهل دمشق من رسوم البطيخ وعرصة البقل والاثار وصانهم من اعانت شرار الضمان وصولة الاجناد وكرروا السفخ عقولهم الخطاب وضمنوا القيام بعشرة آلاف دينار بيض وكتبوا بذلك حتى اجبيوا الى ما راموا وشرعوا في فوضها على ارباب الاملاك من المقدمين والاعيان والرعابا فما اعتدوا الى صواب ولا نجح لهم قصد في خطاب ولا جواب وعسفوا الناس بجهلهم بحيث تألموا واكثروا الضجيج والاستغاثة الى نور الدين فصرف همه الى النظر في هذا الامر فتبعت له السعادة واشار العدل في الرعية الى اعادة ما كان عليه فامر باعادة الرسوم المعتادة الى ما كانت من امانتها وتعفية اثر ضمانها وازاف الى ذلك تبرعاً من نفسه ابطل ضمان الهريسة والجن واللبن ورسم بكتب منشور يقرأ على كافة الناس بابطال هذه الرسوم جميعها وتعفية ذكرها . قال السبكي وقد علم ان المكوس حرام فان ضم الى اخذها الاجحاف في ذلك وتشديد الامور فيه والعقوبة عليه فقد ضم حراماً الى حرام . ومع كثرة احتياج البلاد للمال زمن نور الدين وصلاح الدين للاستعانة به على

(١) كتاب الروضتين في اخبار الدولتين لشهاب الدين المقدسي .

قتال الصليبيين كانت الجباية الى الرق في الجلمة ببلاد الشام فاطلق نور الدين المكوس والضرائب واكتفى بالخراج والجزية . وكان هذان الملكان من ازهد الناس فلم يخلفا في خزائنها الا النافه وقد خلف الملك العادل ابو بكر بن ايوب اخو الملك الناصر صلاح الدين يوسف في خزائنه وكان يجب ادخار المال ليصرفه حين الحاجة . سبعمائة الف دينار وخلف الملك الافضل ستمائة الف دينار عيناً ومائة وخمسين اردباً دراهم نقد مصر ومائة مسمار من ذهب وزن كل مسمار مائة مثقال في عشرة محابس في كل محبس عشرة مسامير وصندوقين كبيرين فيها ابو ذهب يومم الجواري والنساء عدا الشاب والطوائف والقطعان والحيل والبغال والرقيق . وهذا ما لا يمكن ان يحوزه ملك صغير الا بالضغط على الرعية ولو قليلاً لاستخراج هذه الاموال والتوقف في صرفها على مصالح الامة ومراقبها .

ولم نعتز لدمشق عاصمة البلاد على ارتفاع لها خاصة وقد قال ابن ابي طي : (١)
حدثني كويم الدولة ابن شرارة النصراني وكان مستوفى دار حلب يومئذ انه حمل ارتفاع جلسة سنة تسع وستائة في الايام الظاهرية دون البلاد الخارجة عنها والضباع والاعمال فبلغ ستة آلاف وتسعمائة الف واربعة وثلاثين الفا وخمس مائة درهم . قال وبما احطت به علماً في ايام الملك الناصر ان ارتفاعها على القاعدة في الارتفاع في آخر دولته مع حلوله بدمشق وخلوها منه كانت على ما يفصل ثم فصل الارتفاع فكان ستة واربعين صنفاً و سطر المجموع به ٧,٣٠٥,٠٠٠ درهم . وكانت مسافة ما بين مالک حلب في ايامه وهو الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غازي من المشرق الى المغرب مسيرة خمسة ايام ومن الجنوب الى الشمال مثل ذلك ومنها ثمانمائة ونيف وعشرون قرية ملك لاهلها ليس للسلطان فيها الا مقاطعات يسيرة ونحو مائتي قرية ونيف مشتركة بين الرعية والسلطان . قال ياقوت الحموي : اوقفني الوزير صاحب الفاضلي الاكرم جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف بن ابراهيم الشيباني القفطي ادام الله تعالى ايامه وختم بالضاخات اعماله وهو يومئذ وزير صاحبها ومدير دواوينها على الجريدة بذلك واسماء القوي واسماء املاكها وهي بعد تقدم برز من خمسة آلاف فارس مزاهي العاة موسع عليهم قال لي الوزير الاكرم ادام الله تعالى علوه :

لو لم يقع امراف في خواص الامراء وجماعة من اعيان المفاريد لقامت بارزاق سبعة آلاف فارس لان فيها من الطواشية المفاريد ما يزيد على ألف فارس يحصل للواحد منهم في العام من عشرة آلاف درهم الى خمسة عشر ألف درهم ويمكن أن يستخدم من خواص الامراء ألف فارس وفي أعمالها احدى وعشرون قلعة يقام بدخاثرها وارزاق مستحفظها خارجاً عن جميع ما ذكرناه وهو جملة أخرى كثيرة ثم يرتفع بعد ذلك كله من فضلات الاقطاعات الخاصة بالسلطان من سائر الجبايات الى قلعتها عنباً وجوباً ما يقارب في كل يوم عشرة آلاف درهم وقد ارتفع في العام الماضي وهو سنة ٦٢٥ من جهة واحدة وهي دار الزكاة التي تجبى فيها العشور من الافرنج والزكاة من المسلمين وحق البيع سبعمائة ألف درهم وهذا مع العدل الكامل والرفق الشامل بحيث لا يرى فيها متظم ولا ممتضم ولا ممتضم وهذا من بركة العدل وحسن النية اهـ .

ومن هذه النقول تعرف درجة الجباية والثروة في تلك العصور ولما قبض الاتراك والجواكسة على زمام الاحكام في الشام في القرن السابع والثامن والتاسع كانت المكوس كثيرة جداً وزادوها ثم وقفنوا في ضررها حتى صعب احصاؤها وحفظها وكانت الخمر في سنة ٦٤٣ مضمنة والمكوس شديدة وابطل الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٦٥ ضمان الحشيشة وامر باحراقها والغالب ان بعض الملوك لم يكونوا يستكشفون من اخذ الضرائب عن الخمر والمكيات بل تعدوا ذلك في تلك الحقبة من الزمن الى اخذ الرسوم عن البغايا والمواخير فقد ابطل الظاهر برقوق في جملة ما ابطل من المظالم والمكوس في بر الشام ضمانات المغاني اي المغنين والمغنيات في الكرك والشوبك وضمن المغاني كان معروفاً في مصر فأبطل سنة ٧٧٨ زمن الاشرف قلاوون ابطله من جميع أعمال مملكته وكان عبارة عن مال كثير مقرر على المغاني من رجال ونساء يؤدونه كل سنة الى الخزنة وابطل الناصر قلاوون ضمان المغاني ايضاً وهو عبارة عن اخذ مال من النساء البغايا وذلك لو خرجت اجل امرأة تقصد البغاء ونزلت اسمها عند امرأة تسمى الضامنة واقامت بما يلزمها من القدر المعين عليها لما قدر اكبر من في مصر ان ينعها عن البغاء وعمل الفاحشة وكان يتحصل من ذلك جملة كثيرة من المال .

لا جرم ان دولة الترك والجواكسة في مصر والشام تشبه في كثير من الوجوه

دولة الترك العثمانيين التي جاءت بعدها وكانت مراسيم ملوكها تصدر الحين بعد الآخر بإبطال بعض الرسوم والضرائب ولكن مع هذا تجد من الامراء من كانوا يصادرون على ملايين من الدنانير دع سائر اسباب الثروة من ناطق وصامت . والدولة التي تخفف عن رعاياها بالاقتوال والافعال على خلاف ذلك هي دولة سيئة ادارتها المالية فقد كان الملك المؤيد شيخ كثير المصادرات للرعية وهو الذي قطع دابر النواب العصاة الذين اخربوا غالب البلاد الشامية وحدث في أيامه اشياء كثيرة من ابواب المظالم لما كان يخرج الى التجاريد . والخروج الى التجاريد او الحملات كان من جملة الاسباب التي تنهيا لملوك الجواركة ليسلبوا الناس أموالهم ولا تكلفه التجريدة اقل من نصف مليون دينار فاذا جرد السلطان في حياته عشرين تجريدة كان المصروف من ذلك في هذا السبيل عشرة ملايين لا تصل الى خزانة السلطان حتى يجبي مثلها من الرعايا المساكين .

ومن جملة ما ابطلوه في ادوار مختلفة من الرسوم وهو ما نوردناه مثلاً من حالة تلك الايام ما ابطله بقوق بما كان متقدراً على البودارية في كل شهر من المال وما كان يأخذ السامرة على الغلال والكيالة وعن الملع في عين ثاب وعلى الدقيق بالبيرة وما كان مقدراً لثائب طرابلس عندما يتولى على كل قاض من قضاة البر والولاية بغلة او ثلثا خمسمائة درهم . وابطل المنصور قلاوون من جملة ما ابطل من المظالم وظيفة ناظر الزكاة وهو ان يؤخذ من عنده مال زكاته فان مات الرجل صاحب المال او عدم ماله يبقى ذلك القدر المقرر عليه في الدفاتر يؤخذ من اولاده او من ورثته او من اقاربه ولو بقي منهم واحد . وابطل الاشرف صلاح الدين ما كان يؤخذ على كل حمل يدخل باب الجاية بدمشق من القمع خمسة دراهم من المكوس بل ابطل المكوس والضرائب عن سائر اصناف الغلة بجميع الشام وكان ذلك جملة تخرج عن الاحصاء . وتجد الى اليوم على السواري الاربع القائة في مدخل جامع بني أمية بدمشق من الغرب اربع وقائق في ابطال المكوس كتبت كل وثيقة على سارية تاريخ الاولى سنة ٨٦٣ على عهد قايتباي الخراوي كافل المالك الشامية ابطل بها الرسم المقرر على الاسواق والطواحين وغيرها من المكوس بدمشق . والثانية كتبت سنة ٨٦٥ وهي مما امر به الظاهر ابو سعيد بن جقمق بابطال المكوس على الاقمشة المحصية وفرع الاردية وفرع القطن وغيرها والثالثة بتاريخ

سنة ٨٥٢ تقول بانه ورد مرسوم شريف من مولانا السلطان الملك الظاهر ابو سعيد جقمق بإبطال بعض المكوس ومنها التمر والعفص والسكك البوري والحناء والقماش المصري . قال وهذا في صحائف الدولة العادلة ١ والرابعة فيها ذكر القلي والخروج والقلقاس وجلود الجواميس والماعز .

وكانت العادة ان تنقش على الرخام صورة الامر الصادر من الملك في رفع مثل هذه المظالم فنقش الملك الظاهر ابو سعيد ططر رخامة والصقها على باب الجامع الاموي في هذه المدينة بإبطال ما كانت لثائب الشام على المحتسب في كل سنة وكذلك ابطل في القدس ما كان يجبي لثائب القدس في كل سنة من المال ونقش ذلك على رخامة والصقها بباب الجامع الاقصى وابطل ايضاً ما كان مقررأ على أمير مكة واعيان التجار من التقادم للامراء اذا حجوا واعيان الدولة وفي سنة ٧٤٦ كتب على باب قلعة حلب رغيها من القلاع فقرأ في الحجر ما مضمونه : مساحة الجند بما كان يؤخذ منهم لبيت المال بعد وفاة الجندي وذلك احد عشر يوماً وبعض يوم في كل سنة وهذه مساحة بمال عظيم وكتب بالمساحة بمثل ذلك على حائط قلعة طرابلس وهذا التفاوت أيام الدوران ما بين السنين الشمسية والقمرية (١) وكثيراً ما كان يصدر الامر في زمن الجراكسة بجمع الذهب اذا قل أو الفضة وتسليمها الى الملك ليضرب بها سكة ونقوداً وكثر في إياهم غش الفضة حتى كان سعر الدرهم ينزل كثيراً ويصاب الناس في الشام ومصر بنجاسات فادحة وكثيراً ما كانوا يخسرون ثلث اموالهم لان بعض ملوكهم كانوا يغشون الفضة وينزلون عيار الذهب فكانت المصيبة بالفضة والذهب لعهدهم كالمصيبة بالاوراق النقدية لعهدها كل يوم في ارتفاع وانخفاض. ولا عجب فقد كانت الدول بعده صر صلاح الدين وآله في هذه الديار تتعبط بدون قاعدة مستقرة والدول التي ينصب لها ملك وهو لم يبلغ الحولين ويتولى الممالك اموره لا يصدر منها اكثر من هذا كما وقع في سلطنة الملك المظفر ابي السعادات احمد بن الملك المظفر فار كبه فرس النوبة وهو ابن سنة وثمانية اشهر وسبعة أيام وهو يزعم من البكاء ومشت قدامه الامراء حتى دخل القصر الكبير وهو في حجر المروضة وقبلوا الارض امامه ولما دقت الكوسات بهت الطفل وصار احوال العين .

للكلام صلة

حقائق تاريخية

عن دمشق وحضارتها^(١)

توطئة في بلاد الشام وسورية - دمشق - اسماء دمشق واشتقاقها - سكانها
واجناسهم - حضارتها وعموانها .

١

توطئة في بلاد الشام وسورية

بابلا دي وانت خير البلاد نلت خصباً في كل سهل ووادي
فيك اغنت يد الطبيعة شعباً من قديم فثال كل المراد
ساعدتها يد الصناعة دهوراً فأرقنا هممار حسن اجتهد
ثم دالت بنا صروف الليالي فكمننا كالبحر تحت الرماد
فاستعيدوا نجاحكم باجتهد وانحاد لاجل خير البلاد

ان قطر الشام العزيز منسوب الى سام (اسم^(٢)) ابن نوح (راحة) فقبل في اسمه
الشام لان السبن والشين تتبادلان في اللغات الشرقية الشقائق. ولما اشتهر بغيره الذي
كان مدينة صور (صغر) سمي سورية نسبة اليها. وقيل ان اليونانيين افتتحوه فأروا
الاشوريين يتولون شؤونه ففسبوه اليهم وقالوا (اشورية) ثم حذفت الهمزة وابدلت
الشين سيناً فقبل فيها (سورية) واول من ذكرها بهذا الاسم هيروdotus المؤرخ
اليوناني وبقي الاسمان متعاقبين الى يومنا . على ان الشام اكثر استعمالاً لقدمها
والافرنج يستعملون الثاني منها .

وكانت سورية تقسم بحسب موقعها الطبيعي الى ثلاثة اقسام (اولها) سورية
الشمالية وهي تبندىء من جبال طوروس شمالاً وتنتهي عند مدخل حماه جنوباً ومن

(١) اغاضرة التي القاها الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف احد اعضاء مجمعنا في ردهة
الجمع مساء الجمعة في ٢٧ تشرين ارل سنة ١٩٢٠ على نخبة العلماء والادباء وطلبة العلم .
(٢) وضعنا معاني بعض الاسماء بين هلالين تامة للفائدة .

امهات مدنها انطاكية وحلب وحماه (ثانيها) سورية المتوسطة وهي التي أطلق عليها الكتبة المتأخرون اسم سورية المجوفة تعريب كلمة Coelé - Syria والأولى ان يقال في تعريبها وادي - سورية كما قيل وادي النيل في ارض مصر ووادي الرافدين اي الفرات ودجلة في العراق. وهذه تبتدىء من مدخل حماه شمالاً وتنتهي جنوبي صور جنوباً ومن امهات مدنها الداخلية دمشق وتدمر وبعبك وحص . ومن امهاتها الساحلية طرابلس وجبيل وبيروت وصيدا وصور. و (ثالثها) سورية الجنوبية وهي ما بقي من سورية ويدخل فيها ما عرف قديماً باسم بلاد كنعان (المنخفض) او فلسطين (المتغربين) وسميت بعد ذلك بأرض الميعاد والارض المقدسة واشهر اممها اليوم فلسطين عند العرب والافرنج وتمتد من مياه الحولة شمالاً الى العريش جنوباً ومن مدنها الداخلية اورشليم او القدس الشريف وجبرون اي الخليل والناصرية وطبرية ونابلس ومن الساحلية عكا وحيفا وبافا وغزة والعريش .

ومعدل طول هذه البلاد جمعاء من الشمال الى الجنوب نحو سبع مائة كيلومتر وعرضها من الغرب الى الشرق نحو اربع مائة وخمسين فيكون مجموع مساحتها ١٠٩٦٥٠٩ - اميال مربعة. وبلغ عدد سكانها في القديم من عشرة ملايين الى خمسة عشر مليوناً واليوم لا يتجاوز المليونين والنصف فمعدل سكانها ٢٥ نفساً في كل ميل مربع . ولقد حددها الشيخ عبد الغني النابلسي قدس سره بقوله :

وحد الشام طولاً من عريش	الى ارض الفرات المستعاد
ومن جسر المسيح يقال عوضاً	الى طرسوس للبلد المراد
ومن يافا كذاك الى معان	فشام كل ذلك من بلاد

وقيل لسكان هذا القطر الآراميون تغليبا نسبة الى آرام (المرتفع) وهو ابن سام ابن نوح الذي اشتهرت فيه قبائله ولا سيما أنها كانت آخر سكانه القدماء عند فتح اليونانيين فبقي اسمهم متداولاً. ولكن اليونانيين والرومانيين سموا القسمين سورية. والعرب جاروهم بذلك ثم غلبوا اسم الشام. وما يؤثر عن هذا القطر ان الملك هرقل لما غادر انطاكية الى القسطنطينة على اثر فتح العرب في عهد خلافة الامام عمر بن الخطاب (رضه) ودع البلاد بلغته اليونانية قائلًا (سوزة سورية) اي كوني بسلام يا سورية. وكانت عاصمتها منذ القديم دمشق .

٢

دمشق

ان مدينة دمشق هذه موضوع الكلام في هذه المحاضرة هي اقدم مدن سورية لان القبائل التي هاجرت الى هذه البقاع اقامت اولاً في هذه الانحساء لتوفر خصبها بكثرة مياهها ثم تفرقت وسترون في ما يأتي ادلة قاطعة تثبت قدمها. حتى ان استرابون المؤرخ ذكر مغاورها في العصر الظواني (الحجوري) ولا تزال آثارها فيها وحولها فلماذا كانت هذه المدينة العريقة في القدم اشهر مدن سورية وافضها آثاراً (ماعدا مدينة بعلبك) وافرها خصباً واغناها خيرات واكثرها متنزهاً واغزرها مياهاً . ولقد ذكرت آثار قصر الكرنك المحفورة على جدرانها في مصر منذ القرن السابع عشر قبل الميلاد ثم مراسلات تل العمارنة بعد قرنين كما ذكرت النوراة وكثير من الكتب التاريخية القديمة .

وعلوها عن سطح البحر الرومي الثمان ومائتان وستون قدماً وموقعها في مستوى من الارض يشرف عليها جبل قاسيون المعروف بجبل الصالحية نسبة الى الصالحين الذين هم من بني (جماعة) من الكنعانيين النابلسيين المنتسبين الى مسجد ابي صالح^(١) خارج الباب الشرقي منها لنزولهم فيه وانتسابهم اليه ثم لا نتقاهم الى سفح ذلك الجبل الذي نسب اليهم وبقيتهم هي اليوم آل النابلسي عندنا . وعلو قاسيون ٣٧٠٧ اقدام . ويشرف عليها ايضاً من الغرب الجنوبي جبل الشيخ المعروف قديماً بجبل حرمون (القمة العالية) وعلوه - ٩٤٠٠ - قدم وهو يوطب جوها ببنداء البابل المحمول على اجنحة النسيم وحولها الغوطتان الشرقية والغربية وهما من متنزهاة الدنيا الاربعة لانها حداثا رائحة وجنان غناء واشجار غياة ينساب فيها نهر بردى (البارد أو اللودي) وينضم اليه نهر الفيحة (الينبوع) فيدخل المدينة ويتوزع عليها انهاراً سبعة مهندسة بديعة فيروي جميع الارض التي حوله والمدينة بجميع احيائها ولذلك سماه اليونان

(١) ان مسجد ابي صالح قديم كان يلزمه ابو بكر بن سيد حمدة الزاهد وقيل انه جدده ثم خلفه فيه ابو صالح صاحبه فنسب اليه ولما حوصرت قرية جماعيل النابلسية في ايام الحروب الصليبية ترك آل جماعة هؤلاء بلادهم وهاجروا الى دمشق فنزلوا فيه كما مر

بلغتهم بجري الذهب (Chrysorroas) لحصب ارضه وبه لقب يوحنا الدمشقي من قدماء العلماء الدمشقيين الذين نبغوا في ايام الدولة الاموية لفصاحته .
 والمدينة مسورة بسور عظيم منيع ذات ابواب حديدية ضخمة وبقي سورها وابوابها الى زمن ابراهيم باشا المصري (١٨٣١ - ١٨٤٠ م) فسلمه السكان مفاتيح المدينة عندما فتحها ودخل من بوابة الله مع حاكم لبنان الامير بشير الشهابي الكبير وولده الامير خليل وأمن الاهلين وكانت قلعة دمشق قديمة ومحصنة ولها سور حولها وخندق يردعها الغارات فجددت في العصور المتوسطة ولا تزال أبنيتها ماثلة في غربي المدينة .
 ولقد جمعت اسماء المؤلفات في هذه المدينة بما سمي باسمها فكانت اكثر من خمسين واكبرها تاريخ ابن عساكر المشهور وهو من مخطوطات المكتبة الظاهرية الشهيرة طبع منه خمسة مجلدات مؤخراً مختصرة مفيدة ورأيت في كثير من تلك المؤلفات وصف تاريخ الشام ودمشق وعرانها وحوادثها . ولكن كل واحد نقل عن قبله في الغالب دون تحقيق وتحقيق فتكسر الكلام والخطأ وخطب الباحث في تفسير الاعلام وبقي الاشكال غامضاً فجبذا لو اعتمدنا على فلسفة التاريخ ودرسنا علم الآثار القديمة او العاديات ومعارضة اللغات واشتقاقها فان في ذلك مغنياً للورخ يحقق فيه الآراء ويصحح النقول فيعتمد الآتون على اقواله . والله در لوقيان القائل :
 « من العيب العظيم في التاريخ ان لا نفرق بين ما هو حقيقي ثابت وما هو تخيالي واهن » . وياقوت الحموي الذي عقب على قول من تحمل لكلمة اصهبان وجوهاً غريبة في اشتقاقها (١ : ٢٧٠) بما نصه : « وما اشبه قوله هذا الا باشتقاق بعد الاعلى القاص حين قيل له : لم سمي العصفور . قال : لانه عصى وفر . قيل له : والطقيشئل . قال : لانه طفا وشال - ا » .

فأريت في اول محاضرة انتدبت لا لقاءها على منبر هذه الردهة بعد استعادي الى هذا الجمع العلمي ان اتخذ تاريخ دمشق موضوعاً لي بمحضاً على قدر ما فسح لي الوقت ووصل اليه الذرع بعض ما كان مستوراً بحجاب الاهمال في تحليل الاسماء والتحليل عن الحوادث . على انني لم اتعرض الا لتحليل الاعلام الاعجمية في كلامي لغموض اشتقاقها عدا . فاركأ الاعلام العربية لاننا ندر كها بالبداهة . راجياً من لطفكم ايها الكرام الاعضاء عن الهفوات . فليس ما تسمعونه الآث من الآراء

الحديثة في التاريخ الا تنبيهاً الى البحث والتنقيب للتحقيق والتمحيص ليكون تاريخنا كاملاً مبنياً على الحقائق الراهنة والبراهين الدامغة . فلا تحملوه بارعاً كم الله على غير حسن القصد والله حسبي .

٣

اسماء دمشق واشتقاقها

من الفوائد التاريخية الدالة على تحقيق بعض الآراء في التاريخ الصحيح تحليل الاسماء القديمة ومعرفة معانيها وأصول مبانيها فهي اشبه بالآثار القديمة في تأييد الحقيقة او التقرب منها على قدر الطاقة وعلى هذا أحلّل الآن اسماء هذه المدينة وهي كثيرة ذكر منها القلاشندي المشهور في موسوعته (صبح الاعشى) المطبوعة حديثاً - دمشق وخلق وحكى في الروض المعطار تسميتها جيرون والعذراء .. الخ اولها الشام - ان هذا الاسم اقدم اسمائها لانه اسم أب الذين احتلوها واخطروها من اللوذين والاراميين كما سترى قريباً . وهو الغالب على السنتنا الى اليوم . ولا سيما عند العامة حتى انهم قلما يقرلون (دمشق) . ومعنى سام بالعبرانية اسم فهو بلا شك اب الاسماء واسم اب الآباء الذين تديروها . ولقد ذكره النابغة الجعدي عند فتح هذه المدينة في أيام العرب وتعبير ابي الزهراء القشيري باصابة رجله في مواقعها . فقال النابغة بخاطب المعير :

فان تكن قدم (بالشام) نادرة (١)

وان يكن حاجب من فخرت به فلم يكن حاجب عملاً ولا خالاً

فتكون تسمية عاصمة الشام باسم بلاد الشام من باب تسمية الجزء باسم الكل مجازاً . وقال صاحب مراصد الاطلاع : مسجد الشام في بخارى العجم . والشام موضع في بلاد مراد . والشام محلة في تبريز مشهورة وهو يدل على انتقال هذا الاسم مع سكان البلاد الذين حملوه في هجرتهم وسموا به الاماكن التي نزلوها .

فانها دمشق - لقد أول المؤرخون هذا الاسم تأريلاً شتى والاقترب في هذه التسمية أنها لودية او ارامية (أي كلدانية او مصرية قديمة) ذكرتها آثار الكرنك وكتابات تل العمارنة باسم (غاسكو) باللغة الهيروغليفية (اللغة المصرية المقدسة)

(١) أي زالة وواقعة .

ومعنى الكلمة الزهرة او المثمرة تسميه بغيرونها الحصبة . ولقد ذكرها كثير من العرب بهذا الاسم منهم ابو عبادة البحرى بقوله :

اما دمشق فقد ابدت محاسنها وقد وفى لك مطربها بما وعدا
اذا اردت ملأت العين من بلد مستحسن وزمان يشبه البلدا
ومن هذا الاسم اخذ اليونانيون كلمة Damascas وعنه نقل الافرنج
تسميتهم للمدينة وصناعاتها كما سيأتي :

واما قولنا (دمشق الشام) فليس الا تميزاً لها عن غرناطة الاندلسية المسماة
(دمشق الغرب او الاندلس) لان سكانها كانوا من طواريء دمشق الذين ذهبوا اليها
مع من ذهب الى الغرب فاختراروها سكناً لهم لكثرة مياهها وحدائقها وجبل الثلج المطل عليها
فكانت اشبه بمدينةهم الاصلية . ولكن ابن جبير الكنا في الرحالة فرق بين الدمشقين بقوله :

با (دمشق الغرب) ها تيك لقد زدت عليها
تحتهك الانهار تجري وهي تنصب إليها
وورد اسمها مؤثراً في شعر عبد الرحمن بن صهبل لما حاصر عسكو يزيد بن ابي
سفيان هذه المدينة بقوله :

فبلغ أبا سفيان عنا باننا على خير حال كان جيش يكونها
وأنا على بابي (دمشق) نرقي وقد حان من بابي (دمشق) حينها

الثالث جلق - لقد غمض اشتقاق هذه الكلمة عن كثيرين فلم يبتدوا إلى أصله
والذي اراه (إما انها) يونانية تحريف Jinic ومعناها امرأة وكان فيا كنيسة
بهذا الاسم ذكرها ابن عساكر وغيره ولعلها كنيسة باسم مريم ام المسيح (عيسى)
وقرب الكنيسة باب الجنين المسدود في زمن ابن عساكر . فليل (جنيت) ثم
بالابدال (جليق) و (إما انها) فارسية من كلمتين هما (كل) اي زهرة او
وردة و (لك) بمعنى مائة الف فيكون يحمل معناها مائة الف زهرة إشارة الى
غوطنها ثم عدلوا عن الضم في اولها الى الكسر واتبعوا اللام للتخفيف فقالوا (جلق) .
وعلى هذا الرأي تكون من تسمية الفرس الذين امتلكوها في القرن السادس للميلاد
ولذلك كانت شائعة في زمن حسان بن ثابت الانصاري فذكرها بهذا الاسم في
قصيدة وصف بها آل جفنة الغساسنة حكام دمشق اذ ذاك :

لله دره عصابة فادمتهم يوماً (بجلق) في الزمان الاول يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل وأما البريص او البريص الذي ذكره حسان هنا فهو اما متزه او قصر وربما كان محرفاً عن كلمة haradisos اي براذيسوس اليونانية ومعناها المتزه او الفردوس . وكان البريص يسمى ايضاً المقسلاط وهو موضع النحاسين الآن . ولعل اسم بردى من هذه الكلمة وقال في مرصاد الاطلاع : (جلق) ناحية بسرقسطة بالاندلس يسقي نهرها ٢٠ ميلاً وقيل واد شرقي الاندلس . ثم قال : (جليقية) ناحية قرب ساحل البحر المحيط من ناحية شمال لاندلس في اقصى من جهة الغرب . (٥١) . وهذا دليل آخر على حمل الدمشقيين لهذا الاسم معهم الى الاندلس تحبياً وحنيناً الى الوطن .

الرابع جيرون - أطلقه بعضهم على المدينة من باب تسمية الكل باسم الجزء مجزئاً لانه من ابواب جامعها الكبير ايام كانت هيكلًا لليونانيين فالكلمة يونانية Jiron بمعنى فناء الدار او الهيكل ومنها اسم فناء الكنيسة او سورها عند الافرنج اليوم . وكان اسم جيرون للباب الشرقي من ابواب الهيكل وهو المعروف اليوم ببيت النفورة . ولا تزال آثار السور الذي كان يحدق به ظاهرة في الزقاق الذي على يمين الداخل الى الجامع من ذلك الباب وهو الموصل الى الظاهرية . وحول الباب عمودان ضخمان يدلان على عرض السوق في ذلك العهد وكانت الاروقة قائمة على هذه الاعمدة اسير الناس والسوق بينها للعجلات والحيوانات . وحوله كتابات يونانية على يمين الداخل في موضعين ^(١) . وعلى اليسار حائوت صغير فيه باب على اسكفته (عتمة العليا) نقوش بديدة يدل على ان الارض قد ارتفعت عن مساحة ارض

(١) في ربيع سنة ١٩١١ . كنت في دمشق فرأيت كتابة في بيت ابي عثمان الخوي في القيمرية بجوار البئر الذهبي على يمين الداخل الى الجامع من باب النفورة (جيرون) ظهرت في الجدار الغربي عند ترميم البيت وهي يونانية تدل على ان تلك الغرفة بناها مينودورس الابن الاصغر لزينوفوس امين صندوق الهيكل . وهناك حروف غير ظاهرة . وفي بيت الدردري على يمين الباب في اول بيت كتابة يونانية وراء الدرج الذي يؤدي الى البيت . وكذلك في بيت السنان في القيمرية كتابة اخرى يونانية .

الشارع القديمة الى اكثر من نصف الباب علواً : ومثلها الى شرقي الجامع عند باب البريد ثلاثة اعمدة عليها ظنن وكثيراً ما ذكر الشعراء باب جيرون فقال بعضهم فيه :
 باكر (دمشق) بمشق اقلام الحيا زهر الرياض مرصعاً ومكلاً
 واجرر (بجيرون) ذبولك واختصص مغنى تسأزر بالعلي وتسربلا
 وقال بعضهم ان اصل جيرون فارسي تعريب (جيروند) بمعنى السراج وهو بعيد كما لا يخفى .

ومن اغرب ما وصفت به جيرون قول صاحب مراصد الاطلاع : جيرون سقيفة مستطيلة على عمد وسقائف حولها مدينة تطيب بها وهي بدمشق في وسطها كالهلة . وقيل جيرون قرية الجبارة في ارض كدعان (٨١) .
 قلت واما جيرون فلسطين فلم نر لها اثرأ في ما وصلت اليه يد البحث ولكننا نظن انها تصحفت على المؤلف فالاولى ان تكون هي (جبرون) المسماة قرية اربع بل مدينة اربع وتعرف اليوم باسم (الخليل) .

الحاس اسماءها الآخر - سميت دمشق باسماء آخر كثيرة نشير اليها تمة للبحث فسمها يوليانوس الروماني (عين الشرق كله) اعمرانها . ومن اسمائها العروية (ارم ذات العباد) وانكر ذلك كثير من المؤرخين وقالوا ان اسم ارم هو للقبيلة لا للمدينة والذي اراه ان العرب لما رأوها كثيرة الاعمدة وعرفوا شان الاراميين فيها سموها (مدينة ارام ذات العباد) ثم حذفت كلمة مدينة وعربت ارام الى ارم . ومنها (عاصمة ارام) و (ارام دمشق) تميزاً لها عن (ارام صوبة) في وادي سورية . و (مدينة العازر) وهو خادم ابراهيم الخليل المنسوب الى دمشق . و (بيت رامون) نسبة الى ميكها الذي كان باسم الاله رامون اللودي ومنه اسم برمانه في ظاهر دمشق . و (حاضرة الروم) و (حصن الشام) و (بيت ملكهم) و (باب الكعبة) و (فسطاط المسلمين) و (العذراء) ولعلها نسبة الى مريم العذراء التي فيها كنيستها القديمة المعروفة بالمويمية . او انها تعريب كلمة جنيت بمعنى العذراء كما مر آنفاً . و (قاعدة وادي سورية) المعروفة بسورية المجوفة في اصطلاح مؤرخينا الآن . ومن القبايا (الفيحاء) لاتساعها و (الغناء) لالتفاف اشجارها الكثيفة و (جنة الارض) لكثرة حدائقها وغزارة مياهها .

وفي تسميات احيائها وخواحيها اشتدقات تكشف القناع عن وجه كثير من الحقائق

الغامضة التي يتحملها المؤرخون ويتكهن بها اللاغويون . فمن اللغة الفينيقية (دمر) وهي تحريف (دامور) أو (تلمور) أو (تلمار) وهو عندم الاله المحامي فكأنهم اتخذوا حصناً له فيه تمثاله المدافع عن المدينة التي كانت محطة لتجارهم الشهيرة و (بلاط) تحريف بعل باليت . وفي جبل التلمون قرية فليطة وهي من هذا الاشتقاق . والاسماء الآرامية أكثر من غيرها مثل (بيت لهما) أي بيت الآلهة و (المعرة) بمعنى المغارة

ومنها الحثية مثل (الشاغور) بمعنى الصغير . و (قطننا) تحريف (كتنا) وهو اسم الحثيين وكذلك (الفوطنة) فانها تحريف (الكتننة) واليبوسية مثل (ييوس) و (كفوييوس) نسبة الى اليبوسيين من الكنعانيين . و (جديدة الجرش) نسبة الى الجرجاشيين منهم أيضاً .

واليونانية مثل (بلاس) بمعنى قصر . و (بيت اورانس) أي بيت السماء وهي الآن اطلال خربة . و (عين توما) أي الحمة وهي العين الحارة المياه . و (افتريس) تحريف (فاراتريس) أي ضارب الاعداء ومبدهم وهو من أسماء المشتري . و (الفيجه) وهي تحريف (بيجه) اليونانية بمعنى الينبوع . و (مقرا) من متزهاها أصلها يوناني (مكورا) بمعنى المستحيلة . و (نهر ثورا) أي نهر النضر في اليونانية وقيل انها بامم حكيم اسمه (ثورا) أو نسبة الى تاج الملك ثوري^(١) .

والرومانية مثل جبل « القلمون » بمعنى المناخ أي جودة الهواء . و « بانياس » من بان اله الغابات وهو من أسماء أنهارها اليوم .

والعبرانية « المزة » وهي بامم حفيد عيسو ومعناه « الخوف » أو هي يونانية بمعنى التلة أو الربوة وقيل عربية تحريف « المتزّه »

والفارسية « جوير » من جويار بمعنى ميل النهر الصغير .

وذكر ابن عساكر كثيراً من أسماء القرى العربية مثل « صنعاء » وهي خربة الآن دون المزة سماة بامم « صنعاء اليمن » العربية . ومنها قرية « الحيرين » الخربة وفيها مسجد كان مشهوراً وهذا من الأدلة على أن اليمنيين تديتروها .

(١) هو زوج زمرد خاتون أم شمس الملوك اخت الملك دقاق توفيت سنة ٥٥٧ هـ .

« ١٦٦١ م » وهي مؤسسة المدرسة الخافونية البرانية في دمشق المنسوبة اليها .

اخيار وافكار المرحوم الاستاذ نخلة زريق

فجع بجمعنا بفقد عضو من أعضاء الشرف فيه كان معروفاً بأدابه وأخلاقه
وغيرته على اللغة فافترحنا على صديقه صاحب التوقيع أن يكتب كلمة عنه فلبى
فنشكر له حفاوته به . وهذا ما كتبه لنا :

أرى من الواجب علي وقد عاشرت المرحوم سنة كاملة في تعريب كتب
وتهذيب أخرى أن أقضي حقه بعد وفاته ولقد سعت أن استقصي آثاره من محبيه
في القدس فكان منهم الوجد الجليل ولكن لم أنل إلى اليوم شيئاً . تفاوضت الاستاذ
عيسى أفندي اسكندر المعالوف أحد أعضاء المجمع لما كان في وطنه زحلة فأرسل
إليّ ترجمته منقولة من كتابه (الدر الثمين في تراجم أدباء القرن العشرين) فضممتها
إلى ماعرفته عن الفقيد وكتبت هذه العجالة : كان المرحوم عربياً مجتاً في أصله
وفي لغته وفي زبه وفي وطنيته . وأما الأصل فهو كما ذكر في (الدر الثمين) الموما
إليه من أسرة زريق القديّة في سوريا وهي تنتمي إلى عرب الزريقات الذين ينجيمون
اليوم في الكرك وضواحيها والمعروفين في ثغور سورية ولا سيما طرابلس وما
أليها منذ القرن السادس للهجرة . وهي فرعان مسلم ومسيحي . فمن المسيحي بطون
لأسرة زريق في طرابلس وموسين . ونشأ منهم فخذ في بيروت في محلة مزرعة
العرب (ولعلها نسبت إليهم) عرفوا بالبسالة ومن هؤلاء تسلسل المترجم :

هو نخلة بن جرجس زريق ولد في بيروت نحو سنة ١٨٥٩ م . ودرس في
مدارس طائفة الارثوذكسية فأتقن العربية وألم بالانكليزية وحضر مجالس كبار
رجال النهضة الحديثة في بيروت فنسج في لغته التي كان ضليعاً فيها قل من يباريه
حافظاً للقرآن والحديث وأشعار العرب وأمثالها وحوادثها لا يبر به كلمة لغوية إلا
ويستشهد لها إما بآية أو حديث أو شعر أو مثل . وله رسائل كثيرة عند اخوانه
وهي في اصول عربي متين . وتركيب رصين لا يري فيها لكنة أعجمي ولا لحن
عامي . ولو جاز أن أذكر شيئاً مما كتب لآخوانه الذين لم يزالوا أحياء يرزقون

لذكرت له من البدائع فتوياً . ولم أرو له مع الاسف من شعره شيئاً . لأن له نظماً رشيقاً .

اما زيه فكان العربي لا يستعيز عنه ولو باحسن الازياء مع انه نشأ في بيروت حيث تكثر الازياء الغربية وعاشر الاوربيين مدة طويلة ولم يغير ذلك شيئاً من مبدئه . ولقد مال الى اتقان فن التدريس واشتهر بأسلوبه المفيد وقضى نحو ربع قرن في الكلية الانكليزية المختصة لتدريس المعلمين في القدس محتكاً باربابها الرافقين فائلاً لديهم منزلة عالية فتخرج عليه مئات هم اليوم من صفوة الادباء والوجهاء والعمال فقام بعمله احسن قيام .

ولما كانت الحرب الكبرى أبعد الى دمشق وبقي فيها الى زمن الاحتلال الاول فانتخب عضواً في لجنة التهذيب للكتب العسكرية في المدرسة الحربية وكان زميلاً فيها الشيخ عبد القادر المبارك . فعرفت الفقيه ملتفاً بعبادته لم يمه اث يكون بين يدي رئيس الاركان الحربية او بين يدي القائد الاعظم فلا يخرج عن عبادته فخدم عمله هذا بكل اجتهاد وحكمة وبعد سنة ترك العمل وعاد الى القدس مدرساً حيث كان فاسقنا لبعده كل الاسف .

اما الوطنية العربية فكان فيها من رجال العقل والحكمة لا من رجال الخيال والتهور . وكان قليل الكلام فيها حتى اذا آلس من بعضهم كتماناً ابسى آراءه الحكيمة فيها . واسا الدين فكان متصباً فيه لكنه غير متعصب . فلا ينظر الى الاديان الا نظر حرمة . وقد كان برأ بخلق الله على اختلاف نجرهم ونحلهم . يجب ان يعاون حتى اعداءه . ويحسن حتى الى من اساء اليه .

وهكذا صرف حياته عالماً عاملاً الى ان توفي عازباً غريباً في القدس الشريف بداء المعدة الذي كان مبتلى به وذلك في ٢١ تموز سنة ١٩٢١ عن نحو ٦٢ سنة انفقها في خدمة العلم والمدارس والتربية والمطالعة ودفن فيها بركب مهيب وحفلة تليق به وقد اسف عليه كل من عرفه لما اشتهر به بينهم من الآداب الرائعة . وكان طويل القامة رقيق الجسم أسفر اللون قد وخطه شيب رحمه الله وعزى الادب بفقده .

رشيد بقدونس

دمشق :

مطبوعات حديثة

كتاب نفيس في علم الفرائض

أهدى إلينا حضرة الاستاذ الفاضل السيد عبد المجيد افندي المغربي من افاضل علماء طرابلس الشام كتابه المسمى (بالمنهل الفاضل في علم الفرائض) فتصفحه فوجدناه من امتع الكتب المؤلفة في هذا الفن قريب التناول لسهولة عبـاره وفصاحتها وقد امتاز عن غيره في بابه بما يسهل به طريق قسمة التركات بطريقة الكسر العادي التي لم تذكر في كتب الفرائض وهي طريقة سهلة بالنسبة الى ما كان مستعملاً قبلاً في تصحيح الكسر فنحس من يرغب الوقوف التام على هذا العلم النفيس على اقتنائه ونشكر حضرة المؤلف على هديته الثمينة .

ديوان حلیم

وقفنا على ديوان الشاعر العصري حلیم افندي دموس المطبوع ثانية فوجدناه متقن الطبع والنظم والترتيب مصدراً بمقدمة في اقوال الافرنج والعرب في تعريب الشعر والشاعر ثم اورد بعدها قصائده ومقاطيعه الرشيقة والديوان مطبوع في القدس في ٣٠٤ صفحات بقطع ربع . فنشكر الناظر هديته اللطيفة ونحث الشعراء على اقتنائه .